

منظور تحليلي

رؤى الخبراء بشأن قضايا السياسات الآنية

الاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط

جيمس سلادِن (James Sladden)، بيكّا واسّر (Becca Wasser)، بِنّ كونّابل (Ben Connable)، سارة غران-كليمان (Sarah Grand-Clement)

في سبتمبر/أيلول 2015، أطلقت روسيا سلسلةً من الضربات الجوية في سوريا، مؤشرةً إلى بداية تدخلٍ عسكريٍّ كبيرٍ ومستدام. كان العديدون في مجتمع السياسات الغربية متفاجئين من تدابير روسيا. يُزعَمُ أنّ المجتمع القائم بالتحليلات، لو كان قد فَهِمَ مصالح روسيا وأغراضها ومقاربتها بشكلٍ أكثر فعالية، ما كان تدخل موسكو العسكريّ في سوريا ليكون مفاجأة. إنّ طبيعة ونطاق التدابير الروسية حثّ مؤلفي هذا المنظور التحليليّ على التساؤل: ما الأمور الأخرى التي قد تكون ناقصةً في الفهم الجماعيّ لمصالح وتدابير روسيا الأوسع في الشرق الأوسط؟[1]

من الصحيح أنّ الدراسات السابقة بشأن روسيا في الشرق الأوسط مستفيضة، إلا إنّ التحليلات الحديثة ركّزت على سوريا لأسبابٍ مفهومة، فمنحت اهتماماً أقل لعلاقات موسكو ببلدانٍ أخرى في المنطقة. في أواخر عام 2016، ترك هذا النقص في التركيز على النشاط الروسيّ في الشرق الأوسط الأوسع السؤال المهم المتعلق باستراتيجية موسكو الإقليمية ونواياها على المدى الأبعد غير معالَجٍ تقريباً. يسعى هذا المنظور التحليليّ إلى التعرّف على العناصر المهمة من المصالح الروسية في الشرق الأوسط في ما يتجاوز سوريا، من أجل تحديد طبيعة الانخراط الروسيّ في المنطقة، ولوصف ملامح استراتيجيةٍ روسيةٍ في الشرق الأوسط.

ثمة سببٌ جيّد يدعونا للتوسع في فهمنا للاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط. إنّ تحليل الاستراتيجية الروسية يمكن أن يساعد على التَوَقّي من المفاجآت غير المحمودة. إنّ معرفة الموقع والزمن اللذَين يُحتمل أن تبذل فيهما روسيا الموارد الاقتصادية أو العسكرية أو الديبلوماسية يمكن أن يتيح الوقت والمجال للتدابير الوقائية أو التخفيفية. بالنسبة للعديد من المراقبين الغربيين، إنّ انخراط روسيا الإقليميّ ومقاربتها قد لا يشبهان استراتيجيةً ما: فما تفعله يركّز على المدى القصير، والعديد من تدابيرها تبدو انتهازيةً بشكلٍ عنيف. مع ذلك، نجادل بأنه يمكن تبيُّنُ شكلٍ لاستراتيجيةٍ ما.

تمّ تطوير التحليل المُقدَّم هنا من خلال ورشتَيْ عملٍ اختصاصيتَين ومراجعةٍ موحّدَةٍ للدراسات السابقة التي تتناول العلاقات الروسية في الشرق الأوسط. ورشتا العمل عُقِدَتا في لندن وواشنطن العاصمة في عام 2016.

إنّ انخراط روسيا الإقليميّ ومقاربتها قد لا يشبهان استراتيجيةً ما: فما تفعله يركّز على المدى القصير، والعديد من تدابيرها تبدو انتهازيةً بشكلٍ عنيف. مع ذلك، نجادل بأنه يمكن تبيُّنُ شكلٍ لاستراتيجيةٍ ما.

أدخَلنا مشاركين من روسيا والشرق الأوسط وأوروبا والولايات المتحدة؛ مَنَحَت المناقشات الأسبقية للمشاركين الروس والشرق أوسطيين.[2] استفادت مراجعة الدراسات السابقة من المصادر المفتوحة الأولية والثانوية الروسية والشرق أوسطية ومن أبحاث مؤسسة RAND المنشورة.

ينقسم هذا المنظور التحليليّ إلى ثلاثة أجزاء. القسم الأول يفصّل مبادئ السياسات الخارجية الروسية من جهة انطباقها على الشرق الأوسط، مستفيداً من وجهات نظر المشاركين الروس في ورشة العمل بالإضافة إلى المصادر الروسية الأولية والثانوية. القسم الثاني يقيّم طبيعة الانخراط المعاصر لروسيا في الشرق الأوسط من خلال علاقاتها الإقليمية الدبلوماسية، وتلك المتصلة بحقل الأعمال والاقتصاد. القسم الثالث يؤسس على خصائص السياسات الخارجية الروسية وطبيعة علاقاتها وأنشطتها من أجل رسم ملامح استراتيجية روسيا الإقليمية: مقاربةٌ نفعيةٌ (برغماتية) مرنةٌ تسعى إلى تحقيق الحد الأقصى من المكاسب القصيرة المدى وتفتقر إلى الحالات النهائية الثابتة.

إن لروسيا أهدافاً، ولكنّ هذه تبدو للمراقبين الغربيين إما معاملاتية، أو قابلةً للتعميم على المدى الطويل وصولاً إلى النقطة التي تشكّل فيها مبادئ توجيهيةً عريضةً بدلاً من استراتيجياتٍ عالميةٍ أو إقليميةٍ أو مختصةٍ بدولٍ محددة. هذا التصور دقيقٌ بشكلٍ جزئيٍّ على أقل تقدير. نحن نزعم أنه في وقتٍ قد لا تملك فيه روسيا استراتيجيةً إقليميةً واضحةً تدفعها الأهداف المحددة، إلا إنّ تدابيرها تشير إلى تطبيقها لاستراتيجيةٍ مُعَمَّمَةٍ وظيفية: هي تسعى باستمرارٍ لتحسين امتيازاتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية القصيرة المدى، بينما تقلل من الامتيازات القصيرة المدى للخصوم المحتملين. هذه مقاربةٌ تعتمد على الموارد والفرص. عندما تكون الموارد والفرص اللازمة للدفع بمصالح روسيا نادرة، تَقِلّ المعاملات. عندما تكون الموارد والفرص وفيرة، فإنها تتسارع. المنطق العمليّ والاتساق في هذه المقاربة القصيرة المدى والمعاملاتية يشكّل أحد أوضح الاستراتيجيات البعيدة المدى لأيّ جهةٍ فاعلةٍ كبرى في الشرق الأوسط.

السياسات الخارجية الروسية والشرق الأوسط

ابتداءً من عام 2005، زادت روسيا من انخراطها في الشرق الأوسط بشكلٍ ملحوظ. في الفترة ما بين عامَي 2005 و2007، زار الرئيس فلاديمير بوتين (Vladimir Putin) مصر، وإسرائيل، والمملكة العربية السعودية، والأردن، وقَطر، وتركيا، وإيران، والإمارات العربية المتحدة (UAE)، كما اكتسبت روسيا وضعية مراقبٍ في منظمة التعاون الإسلاميّ (Organization of Islamic Cooperation). هذه الزيارات مَثَّلَت في تناقضٍ صارخٍ بمقابل الهمود النسبيّ لسَلَف بوتين، الرئيس بوريس يلتسين (Boris Yeltsin)، الذي لم يَقُم بزياراتٍ رسميةٍ للمنطقة. كانت زيارات بوتين للإمارات العربية المتحدة وإسرائيل الأولى من قِبَل قائدٍ روسيّ، وكانت جهوده لبناء علاقاتٍ مع إسرائيل مؤشراً على تغييرٍ كبيرٍ عن السياسات الروسية والسوفييتية السابقة. ترافقت هذه الزيارات مع انخراطٍ روسيٍّ متزايدٍ في المفاوضات الإقليمية، ويشمل ذلك عملية السلام في الشرق الأوسط، ومفاوضات مجموعة "الدول الخمسة زائد واحد" (P5+1) مع إيران، والسعي وراء المصالح الروسية الاقتصادية وتلك التي تتعلق بمجال الأعمال. على الرغم من هذا الانخراط المتجدد والنشِط، خَلُصَ تحليلٌ للسياسة الخارجية الروسية قامت به مؤسسة RAND عام 2009 إلى إنه: "لم يُتَرجَم أيٌّ من الإجراءات إلى نفوذٍ حقيقيّ. بالإضافة إلى ذلك، لقد فشلت روسيا في التعبير بوضوحٍ عن أهدافها ومصالحها في المنطقة".[3]

التغييرات السريعة والعنيفة التي أدى إليها الربيع العربيّ عام 2011 قادت موسكو نحو التخوف من أن تؤديَ موجة الثورات الشعبية إلى تغييراتٍ عميقةٍ يمكن أن تؤثر على مصالحها في المنطقة.[4] وفقاً لما قاله محلّلون روس، فإنّ سلوكيات روسيا ومقاربتها تطورت مع الزمن، واستجابةً للأحداث

في كل بلد. لم تنظر روسيا إلى الربيع العربيّ على أنه حَدَثٌ متكاملٌ على امتداد المنطقة؛ عوضاً عن ذلك، قَيَّمَت موسكو التأثير في كل بلدٍ على حِدَة، مستندةً إلى حدٍ كبيرٍ إلى كيفية تأثير الاضطراب على المصالح الروسية.[5] الحدث المحوريّ بالنسبة لبوتين الذي كان في حينه رئيساً للوزراء، كان امتناع روسيا عن التصويت عام 2011 لقرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم 1973، والذي سمح بحملةٍ جويةٍ لتسهيل الإطاحة بالديكتاتور الليبيّ مُعَمَّر القذافي. بعد ثمانية أعوامٍ من إطاحة الولايات المتحدة بنظام صدّام حسين في العراق، ومع مواجهة الرئيس السوريّ بشار الأسد لتمردٍ على امتداد البلد، قررت روسيا أن ترسم خطاً في سوريا، تكون مصالحها ضمنه واضحةً وطويلة الأجل.[6]

مبادئ موسكو في السياسات الخارجية

يُقِرّ المشاركون الروس في ورشة العمل، كما تُقِرّ الدراسات السابقة في السياسات الخارجية الروسية أنّ الشرق الأوسط أقل أهميةً من أوروبا وآسيا بالنسبة لاستراتيجية الأمن القوميّ لدى الكرملين.[7] هذا الأمر جليٌّ في الأوراق المفاهيمية التي تتناول السياسات الخارجية في وزارة الشؤون الخارجية الروسية لعامَي 2013 و2016. في كِلا النشرتَين، يَرِدُ الشرق الأوسط قريباً من آخر القسم الذي يذكر "الأولويات الإقليمية"، مما يوضح أولويته الأدنى نسبياً في رؤية موسكو للعالم.[8] ترى روسيا فرصاً محدودةً نسبياً في الشرق الأوسط لحماية المصالح الوطنية الحيوية أو الدفع بها. هذا التقييم يضع إطاراً لتدابيرها في المنطقة.

خَلُصَت دراسةٌ أجرتها مؤسسة RAND عام 2009 إلى أنّ السياسات الخارجية الروسية في الشرق الأوسط كان يحركها طلب المكانة العالمية، والتجارة، والاستقرار الإقليميّ.[9] فلم تكن تحفز روسيا رؤيةٌ معيّنةٌ في السياسات بالنسبة للشرق الأوسط، وإنما الاعتقاد أنها، بوصفها قوةً عالمية، يجب أن تلعب دوراً في المنطقة وأن تملك مقعداً على طاولة المفاوضات والقرارات الرئيسية.[10] الدوافع الثلاثة ما زالت قائمة، ولكننا تعرّفنا إلى عناصرَ إضافيةٍ من سياسات روسيا الخارجية، والتي تشكّل مقاربتها للشرق الأوسط.

أولاً، تنظر روسيا إلى سياساتها الخارجية الخاصة تجاه الشرق الأوسط على أنها علمانية، ومنذ نهاية الحرب الباردة، غير أيديولوجية. تعتقد روسيا أنها تستطيع مخاطبة أيّ طرفٍ وجميع الأطراف في المنطقة، وأنها تخاطبهم بالفعل، باستثناء الدولة الإسلامية. "البقاء بعيدةً عن المشاكل المحلية" على حد وصف الأستاذة الروسية إيرينا زفياغلسكايا (Irina Zvyagelskaya) "مَكَّنَ روسيا من المحافظة على علاقاتٍ حسنة التوازن نوعاً ما مع عددٍ كبيرٍ من الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية، ممّن كانت تقع في موقع المواجهة الحادة في ما بينها أحياناً".[11] تعتقد روسيا أنّ هذه ميزةٌ تتفوق فيها على الغرب الذي تشخّص أنه متحيّز، وبسبب ذلك، هو أقل مرونة.[12]

كان من الواضح لدى المشاركين الروس في كِلا ورشتَي العمل أنّ السياسات الخارجية الروسية تحركها النفعية (البرغماتية) ذات الأمد القريب — قد يسميها الآخرون انتهازية — لا من قِبَل الخطط الطويلة الأمد أو الغايات الإقليمية. جادل المشاركون بأنّ روسيا تقيّم وتعمل على كل فرصةٍ وحدثٍ على ضوء مصالحها الخاصة. على حد تعبير أحد المشاركين الروس، تسعى روسيا وراء أغراضٍ نفعيةٍ (برغماتية)، مع الالتزام بعددٍ قليلٍ من القيود السياسية التي يلتزم بها الغرب، وهذا يتيح لها مرونةً أكبر.[13] قد لا تكون لروسيا خططٌ طويلة الأمد أو غاياتٌ إقليميةٌ في الشرق الأوسط، ولكنّ لها بالفعل مصالحُ طويلة الأمد — مقاربتها المفضلة للاستقرار الإقليميّ، واهتمامها بالأسعار العالمية للنفط. لكنّ هذه المصالح لا تصطدم مع العديد من الخيارات ذات الأمد القريب، إذ إنّ روسيا ليست منغمسةً بعمقٍ في المنطقة كحال الولايات المتحدة.

لم تنظر روسيا إلى الربيع العربيّ على أنه حَدَثٌ متكاملٌ على امتداد المنطقة وإنما قَيَّمَت التأثير في كل بلدٍ على حِدَة، مستندةً إلى حدٍّ كبيرٍ إلى كيفية تأثير الاضطراب على المصالح الروسية.

إذا كان لروسيا بالفعل تخوّفٌ أمنيٌّ طويل الأجل في المنطقة، فهو انتشار الإرهاب الدوليّ إلى روسيا والدول المجاورة.[14] نُقِلَ أنّ 3,200 من ذوي التابعية الروسية سافروا إلى سوريا أو العراق منذ عام 2014، والقادة في موسكو قلقون من المقاتلين الأجانب العائدين، ومن الروس الذين قد يكونون تحوّلوا إلى الراديكالية بسبب دعاية الدولة الإسلامية.[15] سلّطت ورشة عملٍ مشتركةٍ بين مؤسسة RAND ومركز كارنيغي موسكو (Carnegie Moscow Center)، عُقِدَت عام 2003 بحضور مشاركين من الأمريكيين والروس معاً، الضوء على قلق روسيا من التطرف والإرهاب الإسلاميّ.[16] في المنظور الروسيّ، لم يكن من شأن هذا التهديد إلا أن يزداد مع الزمن، لاسيما نتيجةً للصراعات الحديثة في الشرق الأوسط.[17]

المكوّن الأخير في السياسات الروسية تجاه الشرق الأوسط، كما شدّدَ عليه المشاركون الروس في ورشة العمل، والدراسات الروسية السابقة، هو دعم الهيكليات القائمة للدول والحكومات ضد كِلاً من التدخل الخارجيّ والتمرد الداخليّ. يجب أن يحدث التغيير حصراً، بحسب ما جادل به أحد المشاركين الروس في ورشة العمل، من خلال الوسائل الدستورية وأجهزة الدولة، لا الثورات الشعبية.[18] تحمّل روسيا الغرب مسؤولية الوضع الحاليّ على امتداد الشرق الأوسط، وتؤكّد أنّ التدخلات الغربية في العراق وليبيا كانت كارثية.[19] على النقيض من ذلك، تؤكّد روسيا أنها تدعم مبدأ سيادة الدولة بالتوافق مع القانون الدوليّ، وتعارض التدخّل والتطفّل الخارجيّ. تتراصف وجهة النظر هذه مع مخاوف القادة الروس من "الثورات الملوّنة" في البلدان السوفييتية السابقة، والامتعاض العامّ لدى موسكو من قبول أيّ تغييراتٍ يُحتمَل أن لا تكون مؤاتيةً بالنسبة للوضع القائم. تربط روسيا بين المحافظة على الوضع القائم في الشرق الأوسط وبين تهديداتٍ إرهابيةٍ أقل، وفرصٍ معاملاتيةٍ متزايدةٍ مع الدول الاستبدادية، ونفوذٍ أمريكيٍّ اجتماعيٍّ–ثقافيٍّ أقل على امتداد المنطقة.

لقد تشبثت روسيا بالاضطراب في الشرق الأوسط، فسلّطت الضوء على ما تعتقد أنه حالات الفشل في السياسات الغربية وعدم جدارتها بالثقة، من أجل تقديم نفسها للقادة التقليديين الشرق أوسطيين على هيئة البديل الجدير بالثقة. لكنّ هذا الموقف هو تناقضٌ بالفعل. وفقاً لما جادل به أحد المشاركين في ورشة العمل، فقد تقدّم روسيا نفسها على هيئة قوةٍ محافظةٍ في الشرق الأوسط، وإنما في خارجها القريب، روسيا قوةٌ تخريبية، تتدخل في أوكرانيا، وتسعى لزعزعة الاستقرار في أجزاءٍ أخرى من أوروبا. تدابير روسيا في الشرق الأوسط الأوسع تقوّض أيضاً سردها المتعلق بسيادة الدولة وعدم التدخل؛ هي تعمل مع إيران، التي تتدخل على امتداد المنطقة، كما إنّ روسيا تنمّي علاقاتٍ مع المجموعات المعارضة في ليبيا.[20] ومع ذلك، فقد تعرّفت روسيا إلى مصدرٍ غنيٍّ من المواد التي تستخدمها لانتقاد الغرب، بينما تنمّي جمهوراً إقليمياً متعاطفاً من أجل رسالةٍ بديلةٍ في بيئة ما بعد الربيع العربيّ.

سوريا

بتوفيرها الدعم الجويّ المباشر لعمليات سوريا العسكرية في شهر سبتمبر/أيلول 2015، ساعدت روسيا الأسد في المحافظة على حكمه واستعادة السيطرة على مدينة حلب السورية المهمة، مما عدّل مسار الحرب. كان هذا الأمر تصعيداً كبيراً واستثنائياً في فترة ما بعد الحرب الباردة من قِبَل روسيا. التدخل يعارض تفضيل روسيا التقليديّ لتفادي الانخراط المباشر؛ هي الآن متورطةٌ بالكامل في الصراع السوريّ. على الرغم من ذلك، التدخل متّسقٌ مع دعم روسيا لحليفٍ قديمٍ وموقف روسيا المعارض لتغيير النظام. يعكس

تحمّل روسيا الغرب مسؤولية الوضع الحاليّ على امتداد الشرق الأوسط، وتؤكّد أنّ التدخلات الغربية في العراق وليبيا كانت كارثية. تتراصف وجهة النظر هذه مع مخاوف القادة الروس من "الثورات الملوّنة" في البلدان السوفييتية السابقة، والامتعاض العامّ لدى موسكو من قبول أيّ تغييراتٍ يُحتمَل أن لا تكون مؤاتيةً بالنسبة للوضع القائم.

التدخل أيضاً تخوّف روسيا من الإرهاب الدوليّ، والدفاع عن قواعدها البحرية والجوية في اللاذقية وطرطوس وتوسعتها. إنّ حماية هذه الأصول مهمٌّ جداً لموسكو، لكونها الحضور الوحيد الكبير لقوة روسيا في شرق المتوسط والشرق الأوسط. في الظاهر، هذه القواعد بوسعها تمكين روسيا من تحدي الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة. حتى وإن لم تكن موسكو تستسيغ الحكم المستمر للأسد، كما يزعم بعض الروس،[21] فإنها ملتزمةٌ بالحكومة السورية في ظل النظام الحاليّ أو نظامٍ لتصريف الأعمال.[22]

من خلال دعمها الجويّ لقوات النظام السوريّ — بالإضافة للقوات الأرضية الإيرانية وتلك التابعة لحزب الله — حالت روسيا دون انهيار النظام في سوريا، على الأقل في الوقت الحاضر. لقد أصبحت أيضاً ذات دورٍ مهمٍّ في وضع ترتيبٍ ثلاثيٍّ لوقف إطلاق النار مع تركيا وإيران، بالإضافة إلى مسارٍ مستقلٍ للمناقشات السياسية في ما بين الأحزاب السورية. مع هذا، فإنّ مشاركتها في قصف أهدافٍ في حلب وغيرها استجلب تكاليفَ إنسانيةً ضخمةً وأضَرّ بسمعة روسيا الدولية بشكلٍ إضافيّ. من غير الواضح كيف سوف تستخرج روسيا نفسها من سوريا بدون المجازفة بانهيار نظام عميلها. من المرجّح أن تتطلب جهود تحقيق الاستقرار ما بعد الصراع مساعدةً روسية، وقد تتطلب حضوراً روسياً. من الجدير بالملاحظة أيضاً، ثمن تدخل روسيا على المدى الطويل، والتأثير الذي سيحدثه ذلك على المقاربة المفضلة لدى موسكو بشأن السياسات الخارجية في الشرق الأوسط. من غير الواضح في الوقت الحاضر إذا ما كان التحرك الروسيّ في سوريا سوف يجعل روسيا عرضةً نوعاً ما للتورط في أماكن أخرى، مثل ليبيا. في الوقت الحاضر، هذا التدخل يبدو أنه استثناء.

الانخراط الروسيّ الديبلوماسيّ والاقتصاديّ

التركيز الحاليّ على تدابير روسيا في سوريا يمكنه حَجب مصالح روسيا الأوسع، الديبلوماسية والاقتصادية وتلك المتعلقة بمجال الأعمال على امتداد الشرق الأوسط. من الضروريّ إبراز هذه المجالات لفهم طبيعة ومدى ومحدوديات الانخراط الروسيّ في المنطقة. إنّ كلاً من ورشتَي العمل

لقد تشبثت روسيا بالاضطراب في الشرق الأوسط، فسلّطت الضوء على ما تعتقد أنه حالات الفشل في السياسات الغربية وعدم جدارتها بالثقة، من أجل تقديم نفسها للقادة التقليديين الشرق أوسطيين على هيئة البديل الجدير بالثقة.

والدراسات السابقة التي تمّت مراجعتها استكشفت بالتفصيل التعاملات الأوسع لروسيا، الديبلوماسية والاقتصادية والمتعلقة بمجال الأعمال، فوصلت إلى عدة خلاصاتٍ مهمة.

العلاقات معاملاتية (قائمة على المصالح المشتركة)

في وقتٍ تروّج فيه روسيا لقدرتها على التعاطي مع العديد من الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية في الشرق الأوسط، فإنّ معظم علاقات موسكو هناك أفضل ما توصف به هو أنها معاملاتية. روسيا واقعيةٌ بشكلٍ كلاسيكيٍّ في تعاملاتها ولا تنخرط بنفس المقدار في مجموعةٍ واسعةٍ من القضايا، مثل الإصلاحات الديموقراطية وحقوق الإنسان، كما تفعله الحكومات الغربية. إنما، الطبيعة المعاملاتية لهذه العلاقات ليست في مصلحة روسيا تماماً. باستثناء النظام السوريّ وربما إيران، فإنّ الدول الشرق أوسطية تتعامل مع روسيا لأنها تستطيع ذلك، لا لأنها مضطرة. عندما تتلاقى المصالح، روسيا قادرةٌ على القيام بصفقات، لكنّ هذه ليست بالضرورة تحالفاتٌ طويلة الأجل أو حتى شراكات. يقع هذا الأمر في تباينٍ مع اعتماد بعض الأمم الشرق أوسطية على الولايات المتحدة بوصفها الضامن الإقليميّ للأمن.

أجدر أمرٍ بالملاحظة هو أنّ هذه العلاقات المعاملاتية تشمل علاقة روسيا بإيران. مع أنّ روسيا وإيران كلاهما يدعم الحكومة السورية، إلا إنّ علاقاتهما الأوسع تتسم بالشك والارتياب، مدفوعةً بخلافاتٍ تاريخيةٍ

وسياسية.[23] لقد دعمت روسيا حرب صدّام حسين ضد إيران، مكتسبةً بذلك غضب النظام الثوريّ، كما دعمت موسكو العقوبات الدولية على إيران حتى خطة العمل الشاملة المشتركة (Joint Comprehensive Plan of Action). اختلفت روسيا وإيران أيضاً بشأن العمليات السورية، وشمل ذلك استخدام القواعد الإيرانية.[24] بينما استفادت إيران وروسيا من روابطَ محسَّنَةٍ في السنوات القليلة الماضية، فإنّ العلاقة معقدةٌ ومعاملاتيةٌ ويجب ألا تُؤَوَّلَ بأنها تعكس رؤيةً مشتركةً للمنطقة.[25]

ثمة مثلٌ آخر على علاقةٍ معاملاتيةٍ ألا وهو اتفاقية روسيا والمملكة العربية السعودية مؤخراً بشأن إنتاج النفط. أبرمت موسكو والرياض صفقةً في ديسمبر/كانون الأول 2016 لتخفيض إنتاج النفط، بالرغم من وجهات النظر المتباينة بشأن مستقبل سوريا والتهديد الذي تطرحه طهران.[26] هذا الأمر متسقٌ مع مقاربة روسيا الاستراتيجية المعاملاتية وغير الأيديولوجية والمرنة على امتداد المنطقة.[27]

احتمال التحالفات تحدّه "عقباتٌ لا يمكن تجاوزها"

جادل المشاركون في ورشة العمل من كافة أنحاء المنطقة بقولهم إنّ علاقات موسكو مع الدول الشرق أوسطية ليست معاملاتيةً فحسب، وإنما هي محدودةٌ "بعقباتٍ لا يمكن تجاوزها".[28] تبرز هذه العقبات بشكلٍ جزئيٍّ من الحقائق الجيوسياسية، ولكنها بشكلٍ أوليٍّ منتَجٌ ثانويٌّ لمقاربة روسيا غير الأيديولوجية والمعاملاتية للعلاقات الإقليمية.

تسعى روسيا لبناء علاقاتٍ عمليةٍ والمحافظة عليها، مع كل الجهات الفاعلة الحكومية وغير الحكومية في الشرق الأوسط تقريباً.[29] حققت روسيا بعض النجاح بواسطة هذه المقاربة، فتمكنت من توطيد العلاقات مع دول الخليج وإسرائيل بينما تعمّق في نفس الوقت التعاون العسكريّ مع إيران. لكنّ هذه المقاربة أنتجت مجموعةً من التناقضات في السياسات قيّدت السلوك الروسيّ. مثلاً، تسعى موسكو وراء علاقاتٍ جيدةٍ مع كِلاً من إسرائيل وإيران، ولكن أفيد أنها أوقفت بشكلٍ مؤقتٍ بيعها إيران نظاماً للصواريخ المضادة للطائرات من من نوع أس- 300 (S-300) بعد ضغطٍ شديدٍ من الحكومة الإسرائيلية.[30] إنّ انتهاج روسيا مقاربةً غير أيديولوجيةٍ ونفعية (برغماتية) للشرق الأوسط يحد من العلاقات التي يمكن لها بناؤها، وبالتالي، يحد مما يمكن لها تحقيقه في المنطقة.[31]

دول الشرق الأوسط تستخدم روسيا كبديلٍ وإشارةٍ إلى الغرب

الحكومات الشرق أوسطية حذرةٌ من النوايا الروسية، ولكن على الرغم من هذه المخاوف، هي تنظر إلى روسيا على أنها بديلٌ مفيدٌ للولايات المتحدة، لاسيما عندما يفشل القادة الإقليميون في الحصول على النتائج المرجوّة من الولايات المتحدة. من الصحيح أننا لا نستطيع تقييم النوايا الحقيقية لكل قائدٍ شرق أوسطيّ، إلا إنّ كلاً من المشاركين الروس والشرق أوسطيين في ورشة العمل اقترحوا أنّ الحكومات الشرق أوسطية تستخدم الصفقات السياسية والاقتصادية مع روسيا في المقام الأول كوسيلةٍ لإرسال إشارةٍ إلى الولايات المتحدة بأنهم يملكون خياراتٍ أخرى؛ تدعم الأحداث الأخيرة هذا المنظور. مثلاً، وقّعت القاهرة على صفقةٍ للأسلحة بقيمة 3.5 مليار دولار أمريكيّ مع موسكو، بعد وقف المساعدة العسكرية الأمريكية بعد الإطاحة بالرئيس محمّد مرسي من قِبَل الجيش المصريّ.[32] على أثر هذا الإعلان، شارك جنودٌ مظليون روس ومصريون في تمرينٍ عسكريٍّ مشتركٍ في شهر أكتوبر/تشرين الأول 2016 في مصر.[33]

العديد من القادة الشرق أوسطيين يبدون واعين لحراجة وضعهم مع الولايات المتحدة. هم يسعون لدفع منافعهم إلى أقصى حدٍّ باستخدام أوسع نطاقٍ من الخيارات في أيّ قضية، لكنهم لا يريدون المجازفة بعلاقتهم مع الولايات المتحدة في سبيل صفقةٍ مع روسيا. روسيا مدركةٌ لهذا التوازن بشكلٍ جيدٍ على الأرجح. من الصحيح إنها قد لا تكون بالضرورة تحاول سلب سلطة الولايات المتحدة في المنطقة، ولكنّ موسكو تسعى بالفعل لتقويض القوة والنفوذ الأمريكيّ. مع ذلك، إنّ وضعَ إطارٍ للمناقشة باستخدام مصطلحات الحرب الباردة (Cold War) مثل مجالَي النفوذ الأمريكيّ والروسيّ يتجاهل خيار وقوة الدول الشرق أوسطية. إنّ الدول الشرق

أوسطية ليست ببساطةٍ من حلفاء أو عملاء روسيا، وإنما هي كياناتٌ قويةٌ بحد ذاتها، تدفع بالخيارات والمنافع المفتوحة أمامها إلى الحد الأقصى.

تجارة واستثمارات روسيا-الشرق الأوسط

إنّ الترويج لمصالح روسيا الاقتصادية في الشرق الأوسط وحمايتها هو أحد أكثر أغراض سياسات موسكو في المنطقة اتساقاً. مع ذلك، إنّ النطاق والسياق مهمان. الشرق الأوسط يعلل نسبةً مئويةً صغيرةً من مجموع الصادرات الروسية، وليس سوقاً مهمةً بالنسبة للاقتصاد الروسيّ.[34] مع ذلك، فإنّ أنشطة موسكو الاقتصادية الإقليمية يُقصَد منها تحقيق ما يتجاوز الكسب الماليّ. إنّ الفرصة الاقتصادية تزوّد روسيا بحضورٍ ونفوذٍ إقليميّ.

إنّ التفاعل الاقتصاديّ بين روسيا والبلدان الشرق أوسطية في تنامٍ، وروسيا هي القوة الدافعة. تملك دول الخليج الاقتدار الماليّ (خلافاً لشريكتَي روسيا التقليديتَين، مصر وسوريا) للقيام بالاستثمارات العالية الكلفة التي يحتاجها اقتصاد روسيا المحليّ بشدة.[35] لقد دخل صندوق الثروة السياديّ لروسيا، والصندوق الروسيّ للاستثمار المباشر (Russian Direct Investment Fund [RDFI]) في صفقات استثمارٍ مشتركٍ مع صناديق الثروة السيادية للبحرين، والكويت، وقَطر، والمملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة (UAE)، من أجل القيام باكتتاباتٍ في أسهم رأس المال في الاقتصاد الروسيّ. هذه الاستثمارات تمتد عبر مشاريعَ تجاريةٍ متنوعة، والزراعة، والبنى التحتية.[36] من الجدير بالملاحظة أنّ ثلاثاً من هذه الصفقات أُعلِنَ عنها بعد إقرار العقوبات الغربية على روسيا عام 2014، مع أنّ صناديق الثروة السيادية هذه لم تنتهك العقوبات إذ لم تكن العقوبات الثانوية قد نُفِّذَت بعد (زادت الكويت من استثمارها الكائن مسبقاً مع الصندوق الروسي للاستثمار المباشر [RDIF] عام 2015). دول الخليج — على غرار العديد من الدول في الشرق الأوسط — كانت كارهةً لأن تُقَيَّدَ سياسياً بالعقوبات ضد روسيا. إنّ الاستثمارات الشرق أوسطية وما عداها من النشاط الاقتصاديّ الإقليميّ هي جزءٌ من جهود روسيا لبناء اقتصادٍ "مُقاوِمٍ للعقوبات".[37]

الطاقة مكوّنٌ رئيسيٌّ في السياسات الخارجية

تملك روسيا مصالحَ مهمةً اقتصاديةً وأخرى تتعلق بالأعمال في قطاع الطاقة في الشرق الأوسط، يتراوح من الطاقة النووية إلى النفط والغاز. شركاتها التي تملكها الحكومة، مثل غازبروم (Gazprom) وروزاتوم (Rosatom)، تحتفظ بمصالحَ مهمةٍ في مجال الطاقة — ويشمل ذلك أسواق استهلاكٍ رئيسية، وحقول نفطٍ وغاز، وزبائنَ للبنية التحتية من الطاقة النووية — في بلدانٍ مثل إيران والعراق وتركيا، بالإضافة إلى إقليم كوردستان–العراق[38] وشرق المتوسط.[39] روزاتوم (Rosatom)، بالخصوص، زادت نشاطها في الشرق الأوسط خلال السنوات الأخيرة، فبَنَت مفاعلاتٍ في إيران ومصر والأردن وتركيا[40] وافتتحت مكتباً إقليمياً في دبيّ آملةً استغلال خطط الإمارات العربية المتحدة (UAE) والمملكة العربية السعودية لزيادة قدرات الطاقة النووية.[41] إنّ تقلّب أسواق الطاقة العالمية، مترافقاً مع اعتماد روسيا المتزايد على عائدات النفط نتيجةً للتباطؤ الاقتصاديّ لديها وللعقوبات الاقتصادية الغربية، ألقى بضغطٍ أكبر على موسكو للسعي وراء مكاسبَ في أسواق الطاقة الشرق أوسطية.

إنّ مقاربة موسكو النفعية (البرغماتية) للخليج، لاسيما للمملكة العربية السعودية، تقوم على رغبةٍ بزيادة أسعار النفط العالمية. تسعى روسيا لتثبيت ثم زيادة سعر النفط من أجل تغذية نفقات الدولة. لهذه الغاية، حاولت روسيا تنسيق الجهود من أجل تحديد مستويات الإنتاج وإجراءات الأسعار مع منظمة البلدان المصدّرة للبترول (Organization of the Petroleum Exporting Countries).[42] إنّ علاقة روسيا المتقلّبة بعض الشيء مع تركيا تعرّض للخطر أحد أكبر مستهلكي الطاقة لديها. إنّ رأب أي نزاعاتٍ بين تركيا وروسيا — مثل تطبيع العلاقات بعد إسقاط تركيا لطائرةٍ روسيةٍ مُقاتِلةٍ من نوع سو-24 (Su-24) في نوفمبر/تشرين الثاني 2015 — يمكن نسبته بشكلٍ جزئيٍّ إلى حاجة موسكو للمحافظة على أكبر سوقٍ إقليميةٍ للطاقة لديها، والعلاقات التركية–الأمريكية المتراجِعة، وإدراك أنّ كلاً من تركيا والمصالح الروسية قد تستفيد من العمل معاً في سوريا.

حضور القوة من خلال عمليات تجارة الأسلحة

تقوم روسيا بجهدٍ متضافرٍ لاستعادة دورها الذي هو المزوّد المفضل بالأسلحة للحكومات العربية. على حد تعبير أحد المشاركين في ورشة العمل، فإنّ مبيعات الأسلحة "جائزةٌ كبيرةٌ تنتزعها روسيا" من الولايات المتحدة.[43] نشأت هذه الفرصة من تصوّرٍ بشأن انسحابٍ أمريكيٍّ من المنطقة بعد "محور الارتكاز الآسيويّ" (pivot to Asia) المُعلَن عنه، وما يبدو أنه عدم قدرة الولايات المتحدة في التأثير على أحداث الربيع العربيّ. تم تأخير مبيعاتٍ حديثةٍ للأسلحة الأمريكية إلى مصر[44] والمملكة العربية السعودية[45] بسبب مخاوفَ تتعلق بحقوق الإنسان، كما تم تأخير مبيعاتٍ لدولٍ خليجيةٍ أخرى[46] بسبب مخاوفَ تتعلق بالمحافظة على التفوّق النوعيّ العسكريّ لإسرائيل. نتيجةً لذلك، بدا أنّ سياسات الولايات المتحدة في بيع الأسلحة أقل من موثوقة.

في مقابل ذلك، تضع روسيا نفسها في موقع مزوّد الأسلحة بلا قيودٍ من خلال مُصَدِّرِها للأسلحة باحتكارٍ حكوميّ، روزوبورون إكسبوت (Rosoboronexport). لا تعاني المبيعات الروسية للأسلحة من نفس الإشراف البيروقراطيّ والتأخيرات على غرار الأسلحة الأمريكية. روسيا قادرةٌ على تسليم الأسلحة التي تكون الحاجة إليها ماسّةٌ بسرعة، كما ثَبُتَ من خلال تزويدها العراق بالطائرات العمودية (هليكوبتر) الهجومية.[47] المساعدة المستمرة، على هيئة قِطَع الغيار والصيانة، هي أيضاً ليست مُكَيَّفَةً بحسب المخاوف السياسية أو تلك التي تتعلق بحقوق الإنسان. إضافةً لذلك، إنّ مقاربة روسيا غير الأيديولوجية تعني أنه يمكنها المحافظة على علاقاتٍ مع مجموعةٍ متنوعةٍ من الدول وتزويدها بالأسلحة في وقتٍ واحد. تستطيع موسكو، مثلاً، أن تبيع أسلحةً لكلٍّ من إيران والبحرين في نفس الوقت، بالرغم من المخاوف العميقة لدى الأخيرة بشأن النشاط الإيرانيّ السياسيّ والتخريبيّ داخل حدودها. نتيجةً لذلك، كان هناك ارتفاعٌ ثابتٌ في مبيعات الأسلحة الروسية للبلدان الشرق أوسطية منذ عام 2011، يعلّل نسبة 36 في المئة من التوريدات الدفاعية الروسية عام 2015.[48] إنّ انشغال ممالك الخليج بدوام الأنظمة أفضى إلى اقتنائها السريع لكميةٍ كبيرةٍ من الأسلحة، مما يجعلها أكبر مستهلكي الأسلحة في العالم وسوقاً ناضجةً لموسكو.

تسعى روسيا أيضاً إلى الانتفاع من قلق القادة الشرق أوسطيين من الدعم غير الملائم من جهة الولايات المتحدة والغرب، والتصورات بشأن ضعف الولايات المتحدة، نظراً لامتعاض الأخيرة من تحدي الانخراط العسكريّ الروسيّ في سوريا. إنّ استغلال روسيا للاستياء الإقليميّ من الولايات المتحدة يزيد لا فقط الحصيلة النهائية لنفوذها السياسيّ، ولكنّ فيه أيضاً منفعة تحجيم الولايات المتحدة.

استراتيجية روسيا في الشرق الأوسط

نظراً للاتجاهات الاقتصادية والدبلوماسية الواسعة في فترة ما بعد الربيع العربيّ والتي حُدِّدَت ملامحها هنا، والتدخل الروسيّ في سوريا، فالسؤال هو: هل تملك روسيا استراتيجيةً للشرق الأوسط؟ بشأن هذا السؤال، تقع تحليلات النشاط الروسيّ في الشرق الأوسط في المقام الأول ضمن ثلاث مدارسَ للرأي. الأولى هي أنّ روسيا تملك استراتيجيةً للشرق الأوسط، وأنّ هذه ناجحةٌ بشكلٍ كبير.[49] الثانية هي أنّ روسيا تملك استراتيجيةً إقليمية، ولكنّ هذه لا تعمل كما أرادته لها موسكو.[50] الثالثة هي أنّ روسيا تفتقر إلى استراتيجية للشرق الأوسط.[51]

جادل المشاركون الروس في كِلتا ورشتَي العمل بأنّ روسيا لا تملك استراتيجيةً شاملةً طويلة الأمد للشرق الأوسط. وِفقاً لما لاحظه مشاركٌ روسيّ، إنّ استراتيجيةً للشرق الأوسط لن تكون فاعلةً أبداً، لأنها لن تكون قادرةً على مواكبة الأحداث.[52] بحسب هذا التفسير، فإنّ النفعية (البرغماتية) الروسية، التي تحفّزها متطلبات الاستقرار والفرصة الاقتصادية القصيرة الأمد، تدفع بسلسلةٍ من السلوكيات المعاملاتية عوضاً عن حركةٍ جماعيةٍ مدروسةٍ باتجاه أغراضٍ استراتيجيةٍ طويلة الأمد.

ملامح استراتيجية روسيا للشرق الأوسط

للوهلة الأولى، يبدو هذا الجواب كافياً. لكنّ أندرو موناغان (Andrew Monaghan) يقترح صيغةً مختلفةً لمقاربة روسيا للتفكير الاستراتيجيّ

تُظهِر الأمور الدقيقة إلى حدٍّ أكبر. من وجهة نظر موناغان، الاستراتيجية الروسية هي حوارٌ مع السياق الحاليّ والمستقبل المباشر.[53] من هذا المنظور، إنّ مقاربة روسيا تساوي استراتيجيةً من الطرق والوسائل، تأخذ المبادئ العامة فيها مكان الغايات المُقرَّرَة، مُمَكِّنَةً من الفعل في المدى الأقصر، ومُخفِّفَةً من محدوديات روسيا المحتمَلة على المدى الأبعد. قد تكون هذه استراتيجية، وإن لم تكن تتوافق مع التعريفات الغربية للتصميم الاستراتيجيّ. إنّ ذلك يمكّننا أيضاً من رسم ملامحَ لاستراتيجيةٍ روسيةٍ للشرق الأوسط.

إنّ تدابير روسيا في الشرق الأوسط منذ العام 2000 كانت بحثاً عن الصلة، ولقد وفّرت مرحلة ما بعد الربيع العربيّ منفذاً لروسيا لكي تجد صلةً في المنطقة قسراً. لم تعد روسيا راضيةً بلعب دورٍ إسميٍّ في المنطقة. هي تريد إثبات نفسها بما هي قوة، وهي مقتنعةٌ بوجوب امتلاكها للقدرة والإرادة السياسية لممارسة النفوذ في ما يتجاوز جوارها الخاص. لقد عثرت موسكو على سردٍ عن طريق تنصيب نفسها على هيئة قوةٍ من أجل "القِيَم التقليدية"، تقف ضد التغيير غير الملجوم. لعب خطاب بوتين الذي توجّه به إلى الجلسة السبعين للجمعية العامة للأمم المتحدة على هذا السرد، فدعا إلى احترام سيادة الدولة وعدم التدخل بوصفهما منصةً دنيا يمكن للأمم أن تعمل معاً انطلاقاً منها. وَضَعَ بوتين إطاراً لهذه المقاربة على أنها بديلٌ عن التدخلية الغربية الطائشة.[45] من أجل تحقيق هذه المقاربة، قدّمت روسيا صفقاتٍ اقتصاديةً وأخرى تتعلق بالأعمال، غير مُثقَلَةٍ بالشروط، وبدون استلزام أنواع الإصلاحات السياسية التي تدعو إليها وتقتضيها أحياناً، الولايات المتحدة وبلدانٌ غربيةٌ أخرى.

ترى موسكو أنّ الانخراط الغربيّ في الشرق الأوسط قد بلغ حدّ الاستواء؛ الغرب منهَكٌ من الحروب التي بلا طائلٍ في العراق وأفغانستان، وكارهٌ للتدخل عسكرياً بشكلٍ حاسمٍ في سوريا، على الرغم من الدعوات الأمريكية للأسد للتخلّي عن السلطة. من خلال هذا المنظور، إنّ سياسات الغرب التي تنفر من المجازفة سوف لن تأتي إلا بالقليل من الفَرق المثمر في الشرق الأوسط. هذه السياسات، مترافقةً مع تصوّرٍ شرق أوسطيٍّ لولاياتٍ متحدةٍ غَدَت أقل حزماً ضمن النطاق الإقليميّ، تمنح روسيا منفذاً إضافياً إلى داخل الشرق الأوسط.[55]

تقوم روسيا بجهدٍ متضافرٍ لاستعادة دورها الذي هو المزوّد المفضل بالأسلحة للحكومات العربية؛ إنّ مبيعات الأسلحة "جائزةٌ كبيرةٌ تنتزعها روسيا" من الولايات المتحدة.

تسعى روسيا لأن تكون قادرةً على التأثير بشكلٍ فعالٍ وتشكيل النتائج، لكنّ نقصاً في الوسائل يحدّ مما قد تتمكّن من تحقيقه. البلدان الشرق أوسطية تملك الوسيلة لتشكيل النتائج وتحقيقها. من باب المثال، إنّ المبيعات الروسية لأنظمة أسلحة دفاعٍ جويٍّ متطورةٍ إلى إيران وسوريا تؤثّر على الخيارات الغربية في السياسات وتعقّدها، لكنها تَقصُرُ عن القدرة على فرض نتائجَ معيّنة. بدلاً من تحديد الأحداث بشكلٍ كامل، بوسع موسكو أن ترفع من كلفة انتهاج خياراتٍ في السياسات بالنسبة للغرب، تتعارض مع رغبات موسكو.

إنّ رغبات روسيا بأن تكون أقوى وتحافظ على الوضع السابق لا تشكّل بالضرورة رؤيةً إقليميةً طويلة الأمد. إنّ السعي وراء قوةٍ أكبر أمرٌ جوهريٌّ في الاستراتيجية الروسية العالمية، وهو مع ذلك مُعتمِدٌ بالكامل على الموارد والفرصة. مع أنّ روسيا قد تدّعي كونها داعمةً للوضع السابق، إلا إنه لا توجد إشارةٌ إلى احتمال أن تستثمر جيشها أو حتى رأس مالٍ سياسيٍّ كبيرٍ لتعويم أيّ دولةٍ شرق أوسطيةٍ سوى سوريا. طرحنا هذا السؤال مباشرةً على المشاركين في ورشة عملنا الثانية: باستثناء سوريا، أيّ بلدٍ يشكّل مصلحةً استراتيجيةً حيويةً لروسيا؟ لم يقدّم أيّ مشاركٍ جواباً.

إنّ مقاربة روسيا في السياسات الإقليمية، والتي تبدو "لا–استراتيجية"، قد تؤدي بالفعل عمل الاستراتيجية. إذا تمّ النظر إليها من خلال عدسةٍ روسية، فإنّ مقاربةً قصيرة الأمد ونفعيةً (برغماتية) ومعاملاتية للمنطقة، هي منطقيةٌ بقسوةٍ وتنطوي على الفعالية بشكلٍ محتملٍ طالما توفّرت الموارد والفرص. في غياب أغراضٍ طويلة الأمد، بوسع الديبلوماسيين

الروس والقادة العسكريين إشراك كل الأطراف من دون قيودٍ عقائديةٍ أو فَرضية. من وجهات نظر المشاركين الروس في ورشة العمل، فإنّ هذه المقاربة المرنة والقصيرة الأمد — التي هي استراتيجيةٌ من وجهة نظرنا — تتماشى مع امتلاك روسيا لموارد محدودة، وديناميكيات المنطقة التي لا يمكن التنبؤ بها.[56] هي تتماشى أيضاً مع المقاربة الروسية غير الأيديولوجية.

سلّط تحليلٌ قامت به مؤسسة RAND عام 1968 لمعضلات السياسات السوفييتية في الشرق الأوسط الضوء على الإدراك السوفييتيّ لتناقضات وتعقيدات المنطقة. لقد أفاد التحليل بأن الأحداث، طالما لم تفرض خياراً جذرياً في السياسات، فإنّ الاتحاد السوفييتيّ سوف يستمر في انتهاج استراتيجية "التقليص والتضخيم"، ساعياً للدفع بفرصه إلى الحد الأقصى، بحدٍّ أدنى من الالتزام أو الخسارة المحتملة.[57] يمكن أن يُقال الأمر نفسه تقريباً عن روسيا حالياً، مع الاستثناء الملحوظ بشأن تدابيرها في سوريا. إنّ تدخّل روسيا هناك عَكَسَ خياراً حاسماً في السياسات، وهو خيارٌ قد كان لديها امتعاضٌ من القيام به. يظل من غير الواضح كيف سوف تستخرج روسيا نفسها من سوريا، وما إذا كان الأمر استثناءً أو هو بدايةٌ لانخراطٍ روسيٍّ متزايدٍ في المنطقة.

محدوديات الاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط

حتى وإن أرادت روسيا انتهاج استراتيجيةٍ شاملةٍ أطول أمداً في الشرق الأوسط، فهناك محدودياتٌ كبيرةٌ لما يمكنها تحقيقه. إنّ روسيا في العمق، تفتقر إلى القدرة الاقتصادية والعسكرية لإدامة استراتيجيةٍ طويلة الأمد. إنّ مما هو مفتوحٌ للتساؤلات بالفعل، إدامة مدة استطاعة روسيا إدامة تدابيرها الحالية. إنّ موقع روسيا الاقتصاديّ لم يَزدَد إلا سوءاً منذ بداية الربيع العربيّ.[58] من الصحيح أنّ روسيا حقَّقَت بعض الأهداف المهمة القصيرة الأمد، في سوريا بشكلٍ رئيسيّ، إلا إنّ كلاً من المشاركين الروس والشرق أوسطيين في ورشة العمل كانوا في شكٍّ من امتلاك روسيا للعمق في الموارد أو للقدرة على تحقيق استراتيجيةٍ طويلة الأمد.[59]

الحضور مهمٌّ في الشرق الأوسط، حيث تحظى العلاقات الشخصية والاستعداد لاستخدام القوة بالتقدير. إنّ موسكو تملك القدرة على القيام بحالاتٍ محددةٍ من حضور القوة، ولكنها تفتقر إلى الحجم والعمق اللازمَين للعمليات الاستطلاعية الأكثر تطلّباً. إنها تعوّض أوجه القصور هذه عن طريق التعرّف إلى الفرص المتوفرة التي يُؤَمِّنها التغيير السياسيّ، واستغلالها، بينما تحاول الحدَّ من التكاليف والالتزام. إنّ روسيا تفتقر أيضاً إلى قدرات القوة الناعمة في المنطقة بالمقارنة مع الغرب. بينما أسَّسَت روسيا محطةً إخباريةً عربيةً لروسيا اليوم (آر تي [RT])، إلا إنه من غير الواضح ما إذا كانت جهود القوة الناعمة الأوسع لدى روسيا سوف تلقى صدى في الشرق الأوسط بنفس الطريقة التي لَقِيَتها جهودٌ مماثلةٌ في أجزاءٍ من أوروبا والولايات المتحدة. إنّ مقاربة روسيا الانتهازية والنفعية (البرغماتية) هي أيضاً، بشكلٍ جزئيّ، إقرارٌ بمحدودياتها الخاصة. إنّ روسيا تستفيد إلى الحدّ الأقصى ممّا لديها، ولكنها تفتقر إلى العمق على المدى الطويل، وبالتالي، هي تلجأ إلى انتهاج الحوار الاستراتيجيّ القصير الأمد بين الحاضر والمستقبل المباشر.

بالإضافة للمحدوديات في ما يمكن لروسيا نفسها أن تحققه، فإنّ دول الشرق الأوسط تملك القدرة والوسيلة الأكبر لتحديد قابلية الحياة لأيّ استراتيجيةٍ روسية. إنّ الوسيلة لدى البلدان الشرق أوسطية كثيراً ما تضيع في ثنايا مناقشات الانخراط الروسيّ والأمريكيّ في الشرق الأوسط، والتي تعاود الوقوع أحياناً كثيرةً في العبارات المُستَهلَكَة للحرب الباردة، والتي أصبحت بالية. إنّ دول الشرق الأوسط تحدد عمق علاقتها مع روسيا، فإما أن تُمكّن التحرك الروسيّ وإما أن تحدّه. على غرار روسيا، إنّ هذه الدول تستغل أيضاً الطبيعة المعاملاتية لعلاقاتها، مستخدِمةً روسيا لمنفعتها.

الخاتمة

بعد انقضاء عامَين تقريباً منذ بداية التدخل الروسيّ في سوريا، من الواضح أنّ موسكو تعتزم أن تظل منخرطةً في الشرق الأوسط بشكلٍ أكثر نشاطاً وجوهرية. من الصحيح أنّ الدوافع الرئيسية للسياسات الروسية — أي المكانة والتجارة والاستقرار — ما زالت نفسها، إلا إنّ مصالح موسكو

توسّعت من الناحية الديبلوماسية والاقتصادية وتلك المتعلقة بالأعمال. إنّ فهم أسباب انخراط روسيا على امتداد المنطقة ضروريٌّ من أجل التعرّف إلى ما لديها من القدرة الكامنة على تحقيقه ولتفادي إساءة فهم تدابيرها.

إنّ الدور المحتمل لروسيا في المنطقة يجب ألا تجريَ المبالغة بشأنه. تواجه روسيا قيوداً في ما يمكنها تحقيقه وما سوف تسمح به الجهات الفاعلة المحلية. بينما قد حقّقت موسكو بعض النجاح في سوريا، فإنها قد لا تكون قادرةً على ترجمة هذا النجاح إلى قوةٍ استراتيجية، مع احتمال أن تعانيَ سوريا من تمرّدٍ طويل الأمد. في وقتٍ ما، قد تحتاج موسكو للقيام بخيارٍ حرجٍ في السياسات: في منطقةٍ ليس لها من الأولوية في السياسات الخارجية ما لآسيا وأوروبا، كم تريد روسيا من النفوذ وكم سيكلفها ذلك؟

إنّ روسيا تستخدم الآن الأحداث في الشرق الأوسط من أجل إعادة بناء صورتها كقوةٍ عظمى. عن طريق الانتفاع من تحديثها العسكريّ منذ حرب عام 2008 مع جورجيا، لقد استفادت روسيا إلى الحد الأقصى من الفرص في سوريا على خلفية الارتباك المُتَصَوَّر في السياسات الغربية. لقد حققت روسيا، من منظورها، الكثير في فترةٍ قصيرةٍ من الزمن — أكثر بكثيرٍ مما حققته خلال العقد الماضي. مع ذلك، إنّ مكاسبها الظاهرة يمكن أن تختفيَ بنفس السرعة التي تحققت بها. لقد لعبت روسيا دوراً محدوداً، بالفعالية التي تتمكن منها، لكنها ما زالت لا تستطيع تحديد النتائج في الشرق الأوسط. بدلاً من ذلك، تملك الجهات الفاعلة الشرق أوسطية الأسبقية، وبالتالي يمكنها إما تقييد روسيا وإما تمكينها. هذه الأسبقية تعني أنّ العناصر الأكثر وضوحاً في الاستراتيجية الروسية — علاقاتها الديبلوماسية المتعددة الأوجه أو اتجاهها التدخليّ الحديث — يرجح أن تخلُفَها صفقاتٌ اقتصاديةٌ وصفقات طاقةٍ وأسلحةٍ أطول أمداً. تستبطن هذه القدرة على توطيد الانخراط الروسيّ، وإنتاج عائداتٍ حقيقية، وتشكيل علاقات كلٍّ من روسيا والجهات الفاعلة الإقليمية.

تسعى روسيا لتشكيل النتائج بشكلٍ فعال، لكنّ نقصاً في الوسائل يحدّ مما قد تتمكّن من تحقيقه؛ البلدان الشرق أوسطية تملك الوسيلة لتشكيل النتائج؛ بدلاً من تحديد الأحداث بشكلٍ كامل، بوسع موسكو أن ترفع من كلفة انتهاج خياراتٍ في السياسات بالنسبة للغرب، تتعارض مع رغباتها.

الملاحظات

[1] نحن نركّز على بلدان الشرق الأوسط ويشمل ذلك تركيا وإيران، ونستثني بشكلٍ أساسيٍّ دول المغرب، وليبيا، والجزائر، وتونس الشمال أفريقية.

[2] عُقِدَت ورشة عمل لندن في سبتمبر/أيلول 2016، بالتزامن مع استتمام الولايات المتحدة وروسيا لخطة سلام جديدةٍ لسوريا. عُقِدَت ورشة عمل واشنطن العاصمة في أكتوبر/تشرين الأول 2016، بعد قصف قافلةٍ للمساعدات تابعةٍ للأمم المتحدة خارج حلب. هكذا، عَكَسَت المناقشات في ورشتَيْ العمل هذه الأحداث.

[3] أولغا أوليكر (Olga Oliker)، كيث كرين (Keith Crane)، لويل ه. شوارتز (Lowell H. Schwartz)، وكاثرين يوسوبوف (Catherine Yusupov)، "السياسات الخارجية الروسية: المصادر والتداعيات" *(Russian Foreign Policy: Sources and Implications)*، سانتا مونيكا، كاليفورنيا: مؤسسة RAND، MG-768-AF، 2009، ص. 114. اطلع عليه بتاريخ 7 نوفمبر/تشرين الثاني، 2016: http://www.rand.org/pubs/monographs/MG768.html

[4] تعليقٌ من مشاركٍ روسيٍّ في ورشة العمل، ورشة عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016.

[5] إيرينا زفياغلسكايا (Irina Zvyagelskaya)، "روسيا، اللاعب الرئيسيّ الجديد في الشرق الأوسط" (Russia, the New Protagonist in the Middle East)، في: آلدو فيراري محرر (Aldo Ferrari ed.)، "روسيا بوتين: هل عادت حقاً؟" *(Putin's Russia: Really Back?)*، ميلانو: المعهد الإيطاليّ للدراسات السياسية الدولية (Italian Institute for International Political Studies)، يوليو/تموز 2016، ص. 73-91. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:
http://www.ispionline.it/it/EBook/Russia2016/PUTIN%27S.RUSSIA_EBOOK.pdf

[6] راجع: ييكاتيرينا ستيبانوفا (Ekaterina Stepanova)، "روسيا في الشرق الأوسط: العودة إلى 'استراتيجيةٍ كبرى' —— أو فرض تعددية الأطراف؟" (Russia in the Middle East: Back to a 'Grand Strategy'——or Enforcing Multilateralism?)، بوليتيك إترانجير *(Politique Étrangère)*، عدد رقم 2، صيف 2016، ص. 23-35. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:
http://www.cairn-int.info/article.php?ID_ARTICLE=E_PE_162_0023#anchor_abstract

[7] تعليقاتٌ من قِبَل مشاركين روسٍ في ورشة العمل، ورشة عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016، وواشنطن العاصمة، أكتوبر/تشرين الأول 2016. راجِع أيضاً: زفياغلسكايا (Zvyagelskaya)، 2016؛ وديميتري ترينين (Dimitri Trenin)، "روسيا في الشرق الأوسط: أغراض موسكو وأولوياتها ودوافع سياساتها" (Russia in the Middle East: Moscow's Objectives, Priorities, and Policy Drivers)، مركز كارنيغي موسكو *(Carnegie Moscow Center)*، أبريل/نيسان 2016a.

[8] وزارة خارجية الاتحاد الروسيّ، "مفاهيم السياسات الخارجية للاتحاد الروسيّ" *(Concept of the Foreign Policy of the Russian Federation)*، 2013، فقرة رقم 88؛ ووزارة خارجية الاتحاد الروسيّ، "مفاهيم السياسات الخارجية للاتحاد الروسيّ" *(Foreign Policy Concept of the Russian Federation)*، 2016، فقرة رقم 92.

[9] أوليكر وآخرون (Oliker et al.)، 2009، ص. 113.

[10] أوليكر وآخرون (Oliker et al.)، 2009، ص. 114.

[11] زفياغلسكايا (Zvyagelskaya)، 2016، ص. 84.

[12] تعليقاتٌ من قِبَل مشاركين روسٍ في ورشة العمل، ورشة عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016.

[13] ورشة عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، واشنطن العاصمة، أكتوبر/تشرين الأول، 2016.

[14] ورشتا عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016، وواشنطن العاصمة، أكتوبر/تشرين الأول 2016. راجِع أيضاً: زفياغلسكايا (Zvyagelskaya)، 2016، ص. 73؛ وترينين (Trenin)، 2016a.

[15] كاثرين أ. فيتزباتريك (Catherine A. Fitzpatrick)، "كم من الروس يقاتلون لصالح الدولة الإسلامية في العراق وسوريا؟ تاريخٌ مقتضبٌ لأرقام الكرملين الاعتباطية" (How Many Russians Are Fighting for ISIS? A Brief History of the Kremlin's Arbitrary Numbers)، ذي إنتربرِتر *(The Interpreter)*، 20 ديسمبر/كانون الأول، 2016. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:
http://www.interpretermag.com/how-many-russians-are-fighting-for-isis-a-brief-history-of-the-kremlins-arbitrary-numbers/

[16] أولغا أوليكر (Olga Oliker) وناتاشا ييفيموفا (Natasha Yefimova)، ورشة عمل كارنيغي-مؤسسة RAND حول مستقبل الشرق الأوسط الكبير واحتمالات الشراكة الأمريكية-الروسية *(Carnegie—RAND Workshop on the Future of the Greater Middle East and the Prospects for U.S.-Russian Partnership)*، سانتا مونيكا، كاليفورنيا: مؤسسة RAND، OP-118-CMEPP/CRE، 2004. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:
http://www.rand.org/pubs/occasional_papers/OP118.html

[17] ورشة عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016؛ وزارة خارجية الاتحاد الروسيّ، 2016، فقرة رقم 14.

[18] ورشة عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016.

[19] فلاديمير بوتين (Vladimir Putin)، خطابٌ ألقاه خلال الجلسة السبعين للجمعية العامة للأمم المتحدة، نيويورك، N.Y.، 28 سبتمبر/أيلول، 2015. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:
http://en.kremlin.ru/events/president/news/50385

[20] ورشة عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016.

[21] ورشتا عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016، وواشنطن العاصمة، أكتوبر/تشرين الأول 2016.

[22] ورشة عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016.

[23] ورشتا عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016، وواشنطن العاصمة، أكتوبر/تشرين الأول 2016.

[24] مارك ن. كاتز (Mark N. Katz)، "العلاقات الروسية-الإيرانية: الروابط المضطربة"، لوب لوغ (LobeLog)، 14 مارس/آذار، 2016. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:
https://lobelog.com/russian-iranian-relations-troubled-ties
آنّ برنارد وأندرو إي. كريمر (Anne Barnard and Andrew E. Kramer)، "إيران تلغي استخدام روسيا للقاعدة الجوية، قائلةً إنّ روسيا 'خانت الثقة'" (Iran Revokes Russia's Use of Air Base Saying Moscow 'Betrayed Trust')، نيويورك تايمز *(New York Times)*، 22 أغسطس/آب 2016. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:
http://www.nytimes.com/2016/08/23/world/middleeast/iran-russia-syria.html?_r=0

[25] ديميتري ترينين (Dimitri Trenin)، "روسيا وإيران: الارتياب التاريخيّ والشراكة المعاصرة" (Russia and Iran: Historic Mistrust and Contemporary Partnership)، مركز كارنيغي موسكو *(Carnegie Moscow Center)*، أغسطس/آب 2016b. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:
http://carnegie.ru/2016/08/18/russia-and-iran-historic-mistrust-and-contemporary-partnership-pub-64365

[26] ديفيد شيبارد وأنجلي رافال (David Sheppard and Anjli Raval)، "حلفٌ نفطيٌّ عالميٌّ يُبرِز التحالف السعوديّ-الروسيّ في مجال الطاقة" (Global Oil Pact Underscores Saudi-Russian Energy Alliance)، فايننشل تايمز *(Financial Times)*، 11 ديسمبر/كانون الأول، 2016. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:
https://www.ft.com/content/b59c0e9c-bfab-11e6-81c2-f57d90f6741a

[27] ترينين (Trenin)، 2016b.

[28] ورشتا عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016، وواشنطن العاصمة، أكتوبر/تشرين الأول 2016.

[29] الاستثناءات المهمة على هذه المقاربة تشمل المجموعات التي تعتبرها روسيا إرهابية، مثل الدولة الإسلامية. ولكنها تحافظ على علاقاتٍ مع حزب الله، الذي تعتبره الولايات المتحدة وإسرائيل والعديد من البلدان الأوروبية منظمةً إرهابية.

[30] كايلي بن ديفيد وإليا أرخيبوف (Caley Ben-David and Ilya Arkhipov)، "بيع روسيا الصواريخ لإيران احتوى صفقاتٍ خفيةً مع إسرائيل" (Russia Missile Sale to Iran Involved Unseen Deals with Israel)، بلومبرغ نيوز *(Bloomberg News)*، 4 مايو/أيار، 2015.

[31] ورشة عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016.

[32] أورِن دوريل (Oren Dorell)، "روسيا تقدّم لمصر صفقة أسلحةٍ بلا قيود" (Russia Offers Egypt No-Strings-Attached Arms Deal)، يو أس إي توداي *(USA Today)*، 13 فبراير/شباط، 2014. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017: http://www.usatoday.com/story/news/world/2014/02/13/russia-egypt-arms-deal/5459563/؛ أحمد علّام (Ahmad Allam)، "مصر قد تنظر نحو روسيا لمكافحة تخفيض المساعدة الأمريكية" (Egypt May Look to Russia to Counter U.S. Aid Reduction)، المونيتور *(Al Monitor)*، 14 أكتوبر/تشرين الأول، 2013. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:

http://www.al-monitor.com/pulse/politics/2013/10/egypt-us-military-aid-reduction-russia.html;

"روسيا ومصر توقّعان على صفقةٍ مبدئيةٍ للأسلحة بقيمة 3.5 مليار دولار أمريكيّ: نقلاً عن الوكالة" (Russia, Egypt Seal Preliminary Arms Deal Worth 3.5 Billion: Agency)، رويترز *(Reuters)*، 17 سبتمبر/أيلول، 2014. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:

http://www.reuters.com/article/us-russia-egypt-arms-idUSKBN0HC19T20140917

[33] "مصر وروسيا تعتزمان القيام بتمريناتٍ عسكريةٍ مشتركةٍ في منتصف أكتوبر/تشرين الأول" (Egypt, Russia to Hold Joint Military Exercises in Mid-October)، رويترز *(Reuters)*، 12 أكتوبر/تشرين الأول، 2016. أطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:

http://www.reuters.com/article/us-egypt-russia-military-idUSKCN12C2E0

[34] ورشة عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016.

[35] تُعَرَّف دول الخليج بأنها البلدان الستة في مجلس التعاون الخليجيّ (Gulf Cooperation Council): البحرين، والكويت، وعُمان، وقَطر، والمملكة العربية السعودية، والإمارات العربية المتحدة.

[36] الصندوق الروسيّ للاستثمار المباشر (RDIF)، "الصندوق الروسيّ للاستثمار المباشر ومبادلة يؤسسان صندوق استثمارٍ مشترك" (Russian Direct Investment Fund and Mubadala Establish Co-Investment Fund)، موسكو، 20 مايو/أيار، 2013. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017: https://rdif.ru/Eng_fullNews/253؛ الصندوق الروسيّ للاستثمار المباشر (RDIF)، "الصندوق الروسيّ للاستثمار المباشر وممتلكات يعتزمان توطيد التعاون الاقتصاديّ والاستثماريّ بين البحرين وروسيا، وتقرَّرَ أن ينضمّ المدير التنفيذيّ لممتلكات إلى المجلس الاستشاريّ الدوليّ للصندوق الروسيّ للاستثمار المباشر" (RDIF and Mumtalakat to Strengthen Economic and Investment Cooperation Between Bahrain and Russia, Mumtalakat CEO to join International Advisory Board of RDIF)، موسكو، 20 أبريل/نيسان، 2014. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017: https://rdif.ru/Eng_fullNews/928؛ الصندوق الروسيّ للاستثمار المباشر (RDIF)، "الصندوق القطريّ يخصّص استثماراً بقيمة 2 مليار دولار أمريكيّ لروسيا: نقلاً عن المدير التنفيذيّ للصندوق الروسيّ للاستثمار المباشر" (Qatar Fund Commits $2 Billion Investment to Russia: RDIF CEO)، موسكو، 23 مايو/أيار، 2014. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017: https://rdif.ru/Eng_fullNews/1038؛ الصندوق الروسيّ للاستثمار المباشر (RDIF)، "الصندوق الروسيّ للاستثمار المباشر يجتذب استثماراتٍ كبرى من الشرق الأوسط إلى الاقتصاد الروسيّ: تَقَرَّرَ أن يخصّص صندوق الثروة السياديّ للمملكة العربية السعودية 10 مليارات دولار أمريكيّ" (RDIF Attracts Major Investment from the Middle East into the Russian Economy: Saudi Arabia's Sovereign Wealth Fund to Commit USD 10 Bn)، موسكو، 7 يوليو/تموز، 2015. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017: https://rdif.ru/Eng_fullNews/1489؛ الصندوق الروسيّ للاستثمار المباشر (RDIF)، "صندوق الثروة السياديّ للكويت يضاعف استثماره مع الصندوق الروسيّ للاستثمار المباشر إلى مليار دولار أمريكيّ" (Kuwait's Sovereign Wealth Fund Doubles Its Investment with RDIF to $1 Billion)، موسكو، 10 نوفمبر/تشرين الثاني، 2015. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017: https://rdif.ru/Eng_fullNews/1544

[37] ورشة عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016.

[38] تملك غازبروم (Gazprom) حصص مشاركةٍ في كتل غرميان وحلبجة وشَكَل الواقعة في إقليم كوردستان-العراق. راجِع: "العراق" (Iraq)، غازبروم (Gazprom)، غير مؤَرَّخ. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:

http://www.gazprom.com/about/production/projects/deposits/iraq/

[39] في شهر فبراير/شباط 2013، توصّلت غازبروم (Gazprom) إلى اتفاقٍ لتسويق الغاز الإسرائيليّ المُسال من شرق المتوسط. راجِع: جيمس مارسون (James Marson)، "غازبروم توقّع اتفاقٍ لتسويق المشروع الإسرائيليّ للغاز الطبيعي المُسال تامار" (Gazprom Signs Deal to Market Israel's Tamar LNG Project)، وول ستريت دجورنال *(Wall Street Journal)*، 26 فبراير/شباط، 2013. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو /تموز، 2017:

http://www.wsj.com/articles/SB10001424127887324338604578328231939157040

[40] "نائب المدير العام لروزاتوم، نيكولاي سباسكي قام برحلة عملٍ إلى جمهورية الهند والجمهورية الإسلامية في إيران" (Deputy Director General of ROSATOM Nikolai Spasskiy Made a Working Trip to the Republic of India and the Islamic Republic of Iran)، دائرة التواصل في روزاتوم، 4 أغسطس/آب، 2016. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:

http://www.rosatom.ru/en/press-centre/news/deputy-director-general-of-rosatom-nikolai-spasskiy-made-a-working-trip-to-the-republic-of-india-and/?sphrase_id=44448;

"مصر وروسيا توقّعان اتفاقاً لبناء مصنعٍ للطاقة النووية" (Egypt, Russia Sign Deal to Build a Nuclear Power Plant)، رويترز *(Reuters)*، 19 نوفمبر/تشرين الثاني، 2015. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:

http://www.reuters.com/article/us-nuclear-russia-egypt-idUSKCN0T81YY20151119;

"المفاعل النوويّ الأول للأردن يبدأ بالعمل بحلول عام 2025" (Jordan's First Nuclear Reactor to Start Operations by 2025)، دجوردان تايمز *(Jordan Times)*، 19 مارس/آذار، 2016. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:

http://www.jordantimes.com/news/local/jordan%E2%80%99s-first-nuclear-reactor-start-operations-2025%E2%80%99;

"تركيا تشرع ببناء أول مصنعٍ للطاقة النووية، أكويو في مرسين" (Turkey Launches Construction of First Nuclear Power Plant, Akkuyu in Mersin)، ديلي صباح *(Daily Sabah)*، 14 أبريل/نيسان، 2015. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:

http://www.dailysabah.com/energy/2015/04/14/turkey-launches-construction-of-first-nuclear-power-plant-akkuyu-in-mersin

[41] "روزاتوم تفتتح مقراً رئيسياً إقليمياً" (Rosatom Opens Regional Headquarters)، خليج تايمز *(Khaleej Times)*، يوليو/تموز،18 . اطلع عليه بتاريخ2016 أبريل/نيسان،6 2017:

http//:www.khaleejtimes.com/business/companies/rosatom-opens-regional-headquarters

[42] روبي ليان (Ruby Lian)، جوزفين ميسون (Josephine Mason)، ورانيا الجمل (Rania El Gamal)، "المملكة العربية السعودية وروسيا توقّعان حِلفاً نفطياً، وقد تحدّان من الناتج في المستقبل" (Saudi Arabia, Russia Sign Oil Pact, May Limit Output in Future)، رويترز *(Reuters)*، 5 سبتمبر/أيلول، 2016. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:

http://www.reuters.com/article/us-g20-china-saudi-russia-oil-idUSKCN11B0UF

[43] ورشة عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016.

[44] مايكل ر. غوردون ومارك لاندلر (Michael R. Gordon and Mark Landler)، "في معرض استجابةٍ صارمة، الولايات المتحدة تجمّد مؤقتاً بعضاً من المساعدة العسكرية لمصر" (In Crackdown Response, U.S. Temporarily

(Freezes Some Military Aid to Egypt)، نيويورك تايمز *(New York Times)*، 9 أكتوبر/تشرين الأول، 2013. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:
http//:www.nytimes.com/2013/10/10/world/middleeast/obama-military-aid-to-egypt.html

[45] توماس غيبونز-نَف (Thomas Gibbons-Neff)، "مجلس النواب ومجلس الشيوخ كلاهما يتجهان نحو منع عملية بيع الدبابات للمملكة العربية السعودية" (Both House and Senate Move to Block Tank Sale to Saudi Arabia)، واشنطن بوست *(Washington Post)*، 20 سبتمبر/أيلول، 2016. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:
http//:www.washingtonpost.com/news/checkpoint/wp/2016/09/20/both-house-and-senate-move-to-block-tank-sale-to-saudi-arabia/

[46] جو غولد (Joe Gould)، "البيت الأبيض يوافق على مبيعات الطائرات إلى قَطر والبحرين والكويت: أمرٌ رائع" (White House Approves Jet Sales to Qatar, Bahrain and Kuwait: Corker)، ديفنس نيوز *(Defense News)*، 28 سبتمبر/أيلول، 2016. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:
http//:www.defensenews.com/articles/white-house-approves-jet-sales-to-qatar-bahrain-and-kuwait-corker

[47] أوليسيا أستاخوفا (Olesya Astakhova)، "العراق يشتري ما قيمته 4.2 مليار دولار أمريكيّ من الأسلحة الروسية- نقلاً عن وثيقة" (Iraq Buys $4.2 Billion in Russian Weapons-Document)، رويترز *(Reuters)*، 9 أكتوبر/تشرين الأول، 2012. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:
http//:www.reuters.com/article/us-russia-iraq-weapons-idUSBRE8980TX20121009

[48] قاعدة بيانات معهد ستوكهولم الدوليّ لبحوث السلام (Stockholm International Peace Research Institute) المتعلقة بنقل الأسلحة، غير مُؤَرَّخ. تم استخدامها في شهر نوفمبر/تشرين الثاني 2016. اطلع عليه بتاريخ 18 يوليو/تموز، 2017:
https://sipri.org/databases/armstransfers

[49] ترينين (Trenin)، 2016a.

[50] ورشتا عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016، وواشنطن العاصمة، أكتوبر/تشرين الأول 2016.

[51] ورشتا عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016، وواشنطن العاصمة، أكتوبر/تشرين الأول 2016.

[52] ورشة عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016.

[53] أندرو موناغان (Andrew Monaghan)، "السياسة الجديدة لروسيا" *(The New Politics of Russia)*، مانشستر، المملكة المتحدة: دار نشر جامعة مانشستر (Manchester University Press)، 2016.

[54] بوتين (Putin)، 2015.

[55] ورشة عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، واشنطن العاصمة، أكتوبر/تشرين الأول 2016.

[56] ورشتا عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016، وواشنطن العاصمة، أكتوبر/تشرين الأول 2016.

[57] آرنولد ل. هورليك (Arnold L. Horelick)، "معضلات السياسات السوفييتية في الشرق الأوسط" *(Soviet Policy Dilemmas in the Middle East)*، سانتا مونيكا، كاليفورنيا: مؤسسة RAND، P-3774، 1968. اطلع عليه بتاريخ 19 نوفمبر/تشرين الثاني، 2016: http://www.rand.org/pubs/papers/P3774.html

[58] أوليكر وآخرون (Oliker et al.)، 2009.

[59] ورشتا عمل مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND (RAND Center for Middle East Public Policy [CMEPP])، لندن، سبتمبر/أيلول 2016، وواشنطن العاصمة، أكتوبر/تشرين الأول 2016.

عن المؤلفين

جيمس سلادِن (James Sladden) هو محللٌ للسياسات في مؤسسة RAND، وتتناول أبحاثه أوروبا وروسيا والشرق الأوسط.

بيكا واسّر (Becca Wasser) هي محللةٌ للسياسات في مؤسسة RAND. تشمل مجالات البحث الأولية لديها محاكاة سيناريوهات الحرب، والأمن الدوليّ، والسياسات الدفاعية والخارجية للولايات المتحدة في الشرق الأوسط.

بِن كونابل (Ben Connable) هو أخصائي أوّل في العلوم السياسية في مؤسسة RAND. تتناول أبحاثه الشرق الأوسط وروسيا والحرب. نال شهادته في الدكتوراه في دراسات الحرب من كلية كينغز كوليدج (King's College) في لندن.

سارة غران-كليمان (Sarah Grand-Clement) هي مساعدة أبحاثٍ في مؤسسة RAND أوروبا (RAND Europe). يركّز بحثها على أوروبا والشرق الأوسط ومنطقة البحر الأبيض المتوسط.

عن هذا المنظور التحليلي

يعرّف هذا المنظور التحليليّ بفجوةٍ مهمةٍ في الفهم الحاليّ للتدابير والأغراض الروسية في الشرق الأوسط: السؤال المتعلق باستراتيجية روسيا في المنطقة. هو يسعى للتعريف بالعناصر المهمة من المصالح الروسية في الشرق الأوسط، في ما يتجاوز سوريا، من أجل تحديد طبيعة الانخراط الروسيّ المعاصر في المنطقة، ولرسم ملامح الاستراتيجية الروسية في الشرق الأوسط. يجادل هذا المنظور التحليليّ بأنّ الاستراتيجية الروسية تُفهَم بأفضل شكلٍ على إنها حوارٌ مع السياق الحاليّ والمستقبل المباشر، الذي تأخذ المبادئ العامة فيه مكان الغايات المحددة. إنّ استراتيجية روسيا مقاربةٌ نفعيةٌ (برغماتية) مرنةٌ تدفع بالمكاسب الأقصر أمداً إلى الحد الأقصى، وتتميز بغياب الحالات النهائية الثابتة. إنّ لروسيا أهدافاً، لكنّ هذه تُكَيَّفُ وِفقاً لمصالح موسكو. يزعم المؤلفون أنه بينما قد لا تشبه مقاربة روسيا استراتيجيةً ما بحسب المصطلحات الغربية، إلا إنّ التدابير والمصالح الروسية تَصِفُ ملامح استراتيجيةٍ ناشئة، تقودها مبادئ وسلوك موسكو الأوسع في السياسات الخارجية.

يرغب المؤلفون بتقديم الشكر للمشاركين في ورشتَي عملٍ ليست فيهما نسبةٌ مباشرةٌ إلى المصدر، عُقِدَتا في لندن وواشنطن العاصمة، في سبتمبر/أيلول وأكتوبر/تشرين الأول من عام 2016. هم يرغبون أيضاً بشكر أندرو بارازيليتي (Andrew Parasiliti)، والسفير ويليام كورتني (William Courtney)، ومارك ن. كاتز (Mark N. Katz) لتعليقاتهم المفيدة والبنّاءة على نسخٍ سابقةٍ لهذا التقرير، وداليا داسا كاي (Dalia Dassa Kaye) لدعمها وإرشادها المستمرّ طوال هذا المشروع.

مشاريع مؤسسة RAND (RAND Ventures)

مؤسسة RAND هي منظمة بحثية تعمل على تطوير حلول لتحديات السياسات العامة وللمساعدة في جعل المجتمعات في جميع أنحاء العالم أكثر أمناً وأماناً وأكثر صحةً وازدهاراً. مؤسسة RAND هي مؤسسةٌ غير ربحية، حيادية، وملتزمةٌ بالصالح العام.

مشاريع مؤسسة RAND (RAND Ventures) هي واسطةٌ للاستثمار في الحلول عن طريق السياسات. المساهمات الخيرية تدعم قدرتنا على النظر البعيد نحو المستقبل، ومعالجة المواضيع الصعبة والخلافية في أغلب الأحيان، ومشاركة نتائجنا بطرقٍ مبتكرة ومقنعة. نتائج أبحاث مؤسسة RAND وتوصياتها مبنيّةٌ على البيانات والأدلّة، ولذلك هي لا تعكس بالضرورة تفضيلات السياسات أو الاهتمامات لدى عملائها أو مانحيها أو داعميها.

لقد تمّ توفير التمويل لهذا المشروع عن طريق المساهمات السخيّة من المجلس الاستشاريّ لمركز السياسات العامة في الشرق الأوسط (CMEPP) التابع لمؤسسة RAND، وتمّ تنفيذه داخل هذا المركز، وهو جزءٌ من برامج RAND الدولية.

تمّ توفيرالدعم لهذا المشروع أيضاً بشكلٍ جزئيٍّ، من الأتعاب التي تُجنى لقاء الأبحاث التي يموّلها العملاء.

مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط (CMEPP) التابع لمؤسسة RAND

يجمع مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط (CMEPP) التابع لمؤسسة RAND بين التفوّق في التحليل والخبرة الإقليمية عبر مؤسسة RAND لمعالجة التحديات السياسية والاجتماعية والإقتصادية الأكثر حساسيّةً التي تواجه الشرق الأوسط.

للمزيد من المعلومات حول مركز السياسات العامة في الشرق الأوسط التابع لمؤسسة RAND، الرجاء زيارة الموقع الإلكتروني www.rand.org/cmepp أو التواصل مع المدير (معلومات الإتصال متوافرة على الصفحة الإلكترونية).

للمزيد من المعلومات حول هذا المنشور، يرجى زيارة الموقع www.rand.org/t/PE236



www.rand.org

Arabic Translation
"Russian Strategy in the Middle East"
PE-236/1-RC